من الخوارزميات إلى التأثيرات الاجتماعية:

دراسة سوسيولوجية لتأثير الذكاء الاصطناعي على التواصل الاجتماعي

محمد زياني
باحث في علم الاجتماع
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق
المغرب

ملخص:

نتناول في هذه الورقة العلمية تأثير الذكاء الاصطناعي على وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيراته على الهوية والعلاقات الاجتماعية، ففي ظل التحولات الرقمية التي أصبحت الخوارزميات تلعب فيها دورًا محوريًا في تخصيص المحتوى الخاص بكل الأفراد، مما يؤثر على تفاعلاتهم وهوياتهم الرقمية، كما نسلط الضوء على كيفية تشكيل الهوية الفردية من خلال البيانات وتحليل السلوك، والتلاعب بالرأي العام، عن طريق تعزيز المواقف القائمة من خلال تقديم محتوى يتماشى مع اهتمامات الأفراد، مما يؤدي إلى تآكل التنوع في الآراء وتشكيل فقاعات معلوماتية، الامر الذي يتطلب وعيًا أكبر وإجراءات لحماية الحقوق الفردية في هذا العصر الرقمي المتغير.

كلمات مفتاحية: الذكاء الاصطناعي -التواصل الاجتماعي -الهوية الرقمية –الخوارزميات.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

زياني، محمد. (2024، أكتوبر). من الخوارزميات إلى التأثيرات الاجتماعية: دراسة سوسيولوجية لتأثير الذكاء الاصطناعي على التواصل الاجتماعي. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 7، السنة الأولى، ص 136-150.

Abstract:

This paper examines the impact of artificial intelligence on social media and its effects on identity and social relationships. In the context of digital transformations, algorithms play a central role in content personalization, influencing individuals' interactions and their digital identities. We highlight how individual identity is shaped through data and behavior analysis, as well as the manipulation of public opinion by reinforcing existing positions through content that aligns with individual interests. This leads to an erosion of diversity in opinions and the creation of information bubbles, necessitating greater awareness and measures to protect individual rights in this rapidly changing digital age.

Keywords : Artificial Intelligence - Social Media - Digital Identity – Algorithms.

مقدمة

في عصر التحولات الرقمية المتسارعة، أصبح الذكاء الاصطناعي أحد أبرز القوى التي تعيد تشكيل جوانب متعددة من حياتنا اليومية. من بين التطبيقات الأكثر بروزًا للذكاء الاصطناعي هو استخدامه في وسائل التواصل الاجتماعي، حيث أصبحت الخوارزميات الذكية تلعب دورًا محوريًا في كيفية تقديم المعلومات وتوجيه المحتوى. من خلال تحليل البيانات الضخمة وتخصيص التجارب الشخصية، تساهم هذه التقنيات في تشكيل كيفية تفاعل الأفراد مع المنصات الاجتماعية وكيفية تشكيل هويتهم الرقمية.

تكمن أهمية دراسة تأثير الذكاء الاصطناعي في وسائل التواصل الاجتماعي في فهم كيفية تأثير هذه التكنولوجيا على مختلف جوانب حياة الأفراد والمجتمعات. فالتقنيات الذكية لا تقتصر فقط على تحسين تجربة المستخدم، بل تمتد آثارها لتشمل كيفية بناء العلاقات الاجتماعية، تشكيل الهوية الفردية، وتعزيز أو تقويض الخصوصية. علاوة على ذلك، تؤثر الخوارزميات التي توصي بالمحتوى على سلوكيات الأفراد وتوجهاتهم، مما يجعل من الضروري دراسة كيف يمكن أن تسهم في التلاعب بالرأي العام والتأثير على تفاعل الافراد وعلاقاتهم الاجتماعية.

في هذا السياق، تسعى هذه الدراسة إلى تقديم تحليل سوسيولوجي شامل يسلط الضوء على تأثيرات الذكاء الاصطناعي على التواصل الاجتماعي، من خلال الكشف عن طرق تأثير هذه التقنيات على علاقات الأفراد وهويتهم، بالإضافة إلى بحث قضايا الخصوصية والأمان، والتلاعب بالرأي العام، وتغييرات السلوكيات الاجتماعية، وبناء الثقة والمصداقية. كما سنناقش التأثيرات الثقافية للذكاء الاصطناعي على المجتمع. التي من خلالها نهدف إلى تقديم رؤية متكاملة حول كيفية تأثير الذكاء الاصطناعي على ديناميات التواصل الاجتماعي وكيف يمكن التعامل مع هذه التأثيرات بطرق إيجابية ومستدامة. انطلاقا من إشكالية عامة كالتالي:

كيف يؤثر الذكاء الاصطناعي على الهوية الاجتماعية والتفاعل بين الأفراد، وما المخاطر المتعلقة بتآكل التنوع في الآراء والتلاعب بالرأي العام؟

تأثير الذكاء الاصطناعي على العلاقات الاجتماعية والهوية

في عالم اليوم الرقمي، يلعب الذكاء الاصطناعي دورًا متزايد الأهمية في تشكيل كيفية بناء هويتنا الشخصية وتفاعلاتنا الاجتماعية عبر منصات التواصل الاجتماعي، التي تدار بالعديد من الخوارزميات التي تعد كأدوات قوية في توجيه المحتوى وتخصيص التجارب، مما يؤثر بشكل مباشر

على كيفية تكوين هويتنا الرقمية وكيفية إقامة علاقاتنا الاجتماعية، حيث يعود الحديث عن الهوية الرقمية إلى ظهور الثورة الرابعة كما وسمها كالوس شواب Martin Klaus (Schweb) "التي أحدثت تغيرا جذريا في علاقة الانسان بالمعلومة، التواصل والمعرفة"[1]، حيث أصبحت المجتمعات تعيش تطورا على مستوى التكنولوجيا الحديثة، مما أدى بسيطرة الرقمي على كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، باعتبار هذا الرقمي "يُعيد تحديد المعارف ويُغيّر أشكال ولوج المعلومة، والتصورات التقليدية للمعرفة. ويُعيد تشكيل هويتنا الشخصية بوساطة الأشكال الجديدة للحضور وللمرئية Visibilité"[2].

يعد تشكيل هوياتنا الشخصية والرقمية نتاجا للخوارزميات التي تساهم في تشكيل هويتنا الرقمية من خلال تحليل وتتبع سلوكنا وتفضيلاتنا وأنشطتنا وتفاعلاتنا على الإنترنت، حيث تقوم هذه الخوارزميات بإنشاء ملفات شخصية مفصلة تساهم في تخصيص المحتوى المقدم لنا. على سبيل المثال، عندما نتفاعل مع محتوى معين بشكل متكرر، فإن الخوارزميات تعزز ظهور هذا النوع من المحتوى في خلاصاتنا، مما يؤثر على كيف ننظر لأنفسنا وكيف نرى العالم من حولنا. هذا التخصيص قد يعزز شعورنا بالانتماء لمجموعات معينة، لكنه في الوقت ذاته قد يؤدي إلى إضعاف التواصل مع أفكار وتجارب أخرى قد تكون خارج دائرة اهتماماتنا المفضلة.

نجد الحديث عن هوية رقمية تخص مجموعة من الافراد دون غيرهم، تأكيدا على وجود هويات أخرى يتمتع بها هؤلاء داخل المجتمع، حيث نجد الباحثين للموضوع الهوية الرقمية يصنفون هويتين اجتماعيتين : الهوية الحقيقية لفرد (الفئة) (والسمات التي نستطيع إثبات اتصافه بها -والهوية الافتراضية – (صفة) تتعاظم قوتها أكثر تنسب إلى الفرد بعد دوام، كمثل وصمة"[3]، الامر الدي يوضح بأن الهوية الافتراضية قد تكون لها قوة تأثير أكبر، خصوصاً عندما تكون ثابتة أو مستمرة عبر الزمن، مثل وصمة عار أو صفة سلبية قد تُلصق بالشخص وتبقى تؤثر على تصوره الاجتماعي، مما يؤدي الى تبايناً بين كيفية ظهور الفرد في الواقع وكيفية ظهوره في السياقات الافتراضية، وأن هذه الهوية الافتراضية يمكن أن تؤثر بشكل كبير على كيفية تقييم الناس له أحياناً أكثر من تأثير الهوية الحقيقية، التي تتمثل في الهوية المدنية التي تعد الأكثر قربا من الهوية الحقيقية، التي توثق بطاقة الهوية معلومات كالجنس، تاريخ الميلاد، وإذا عناصر الحالة

[1] Francis Justand & Carine Dartiguepeyrou, La métamorphose numérique vers une société de la connaissance et de la coopération (Paris : Alternatives, 2013), p. 23.

[2] Rémy Rieffel, Révolution numérique, révolution culturelle ? (Paris : Gallimard, 2014), p. 31

[3] Goffman E., Stigmate. Les usages sociaux des handicaps, Éditions de Minuit, Paris, 1975, p. 12.

التي يتم تعيينها دائما. إلى جانب هذه السمات الأكثر وضوحا، تضيف قاعدة لقاءات على النت مثل (Meetic)* المهنة، الحالة الزواجية"[1]، ومن المفارقة أن هذه الهوية التصريحية تعمل كستار للتواجد في الافتراضي لتحقيق اللقاء في الواقع"[2]. ومع ذلك، لا تقلل التقنية الرقمية من التجانس، بسبب عملية اختيار تتم على "ثلاث خطوات خاصة بالانتقال من الهوية الافتراضية إلى الهوية الحقيقية: تقويم بيانات للمستعملين والتبادل الكتابي واللقاء وجها لوجه"[3].

نجد هذا التحديد للهويات يثبت أن الافراد يمتلكون نوعين من الهويات في سياقات اجتماعية مختلفة: الهوية الحقيقية والهوية الافتراضية، حيث تتمثل الهوية الحقيقية: كما أشرنا سابقا في كل ما يعبر عن الشخص كما هو في الواقع، والتي تشمل الفئات الاجتماعية التي ينتمي إليها والسمات التي يمكن إثباتها فعلياً. على سبيل المثال، قد تكون الهوية الحقيقية لشخص ما تشمل كونه طالباً في جامعة معينة، أو موظفاً في مهنة محددة، أو عضوًا في مجموعة اجتماعية معينة، اما الهوية الافتراضية: هي التي يظهرها الفرد في سياقات غير واقعية أو افتراضية، مثل الإنترنت أو وسائل التواصل الاجتماعي. هذه الهوية يمكن أن تكون مبنية على تصورات أو انطباعات قد لا تعكس تماماً الهوية الحقيقية للفرد في كثير من الأحيان، حيث يمكن أن تكون هذه الهوية الافتراضية مُضخمة أو مُبالغ فيها، مثل الأشخاص الذين يعرضون أنفسهم بشكل مثير على وسائل التواصل الاجتماعي ليبدو أنهم يعيشون حياة مثالية، الامر الذي يقودنا الى إشكالات أخرى تتمثل في التأثير على بناء العلاقات الاجتماعية عبر شبكات التواصل الاجتماعي.

العلاقات الاجتماعية عبر المنصات الرقمية

لم يقتصر تأثير الذكاء الاصطناعي على ما هو علمي بحثي فقط، بل امتد الى تحديد نوعية العلاقات الاجتماعية التي تعرف على أنها نتيجة التفاعل الاجتماعي عن طريق التأثير والتأثر أو الأخذ والعطاء بين شخصين يشغلان موقعين اجتماعيين داخل الجماعة أو التنظيم أو المؤسسة

* **Meetic** هو واحد من أكثر تطبيقات المواعدة شعبية وسهرة في أوروبا. تهدف هذه المنصة إلى مساعدة الأفراد العازبين في العثور على شريك وتأسيس علاقات دائمة، بغض النظر عن المسافة. وتقدم Meetic مجموعة واسعة من المزايا المصممة لتسهيل التفاعل بين المستخدمين، من إنشاء الملف الشخصي إلى اقتراحات المطابقة القائمة على التوافق، حيث بدأت نشاطها في السوق في عام 2001، كونه أحد أكثر المخضرمين في هذا المجال .

[1] Georges F., Représentation de soi et identité numérique. Une approche sémiotique et quantitative de l'emprise culturelle du web 2.0. Réseaux, La Découverte, Paris, 2009, pp.165-193.

[2] Cardon D., Le design de la visibilité, essai de cartographie du web 2.0, Réseaux, 2008, Vol.6, n° 152, p. 93- 137.

[3] Bergström M., "(Se) correspondre en ligne. L'homogamie à l'épreuve des sites de rencontres", Sociétés contemporaines, 2016, n°104, p.13-40.

الاجتماعية"[1]. فهي نتيجة التفاعل المستمر بين شخصين يشغلان أدوارًا اجتماعية مختلفة داخل جماعة أو مؤسسة، حيث يؤثر كل منهما على الآخر ويستفيد منه، وفي تعريف اخر حسب إبراهيم عثمان" يعتبرها بأنها صورة من صور التفاعل الاجتماعي بين طرفين أو أكثر، بحيث تكون لدى كل طرف صورة عن الآخر والتي تؤثر سلبا أو إيجابا على حكم كل منهما للآخر، ومن صور هذه العلاقات الصداقة والروابط الأسرية والقرابة وزمالة العمل والمعارف والأصدقاء"[2]. لكن نجد هذه العلاقات والصدقات اصبحت مقيدة بفعل الخوارزميات التي تقدم التوصيات التلقائية والمقترحات المتعلقة بالأصدقاء أو المجموعات التي قد نهتم بها، حيت انها لا تخرج عن نطاق اهتماماتنا وتفكيرينا، كأن علاقاتنا لا يمكن ان تتخطى نطاق ومجال عملنا ودائرة تفكيرنا، على سبيل المثال، قد تقترح خوارزميات الشبكات الاجتماعية إضافة أشخاص ذوي اهتمامات مشابهة لنا، على سبيل المثال، في فيسبوك، تعمل الخوارزميات على تحديد ما نراه في خلاصتنا بناءً على تفاعلنا مع المحتوى السابق، مما يؤدي إلى خلق "فقاعات ترشيح" حيث نواجه معلومات تؤكد آرائنا الحالية وتفضيلاتنا. وكذا تعزيز الصور والمحتويات التي تتماشى مع هويتنا الرقمية، مما يعزز مشاعر الانتماء لمجتمعات معينة ولكنه قد يحد من تعرضنا لمجالات جديدة.

بالمجمل، يعكس تأثير الذكاء الاصطناعي القدرة على التأثير في العلاقات الاجتماعية والهوية، الامر الذي يؤدي إلى تحولات عميقة في كيفية تفاعل الأفراد وبناء هويتهم في العصر الرقمي، حيث تمنح لهم مواقع التواصل القدرة على تغيير الهوية، مما يجعل الأفراد غير صادقين في هوياتهم ولا في علاقاتهم لأن إحساس الفرد بالقدرة على تغييب هويته التي لازمته كظله عند وجوده في العالم الفيزيائي عندما يتنقل بين مواقع شتى على الإنترنت، ستشعره بمزيد من الإحساس بالأمان، والقدرة على ممارسة أفعال لا يريد أن يعلم الغير أنه متلبس بممارستها، وتوفر هذه الخاصية تربة خصبة لحصول كثير من الانحرافات السلوكية بعيدا عن أنظار الغير"[3]. لكن لا يمكن حصر التأثير الخاص للعلاقات الافتراضية في ما هو سلبي فقط، بل نجد الشبكات الاجتماعية ساهمت في تبادل الثقافات والأفكار والتجارب، مما جعلها فضاء للثقافة الموازية ذات البعد الكوني، حيث نجحت التطبيقات التفاعلية للإنترنت لاسيما مواقع الشبكات الاجتماعية في تحويل العالم إلى قرية كونية، مشكلة بذلك فضاء للثقافة الموازية[4]، التي بفضلها وفضل الاتصال الدائم بالغير

[1] خليل معن، البناء الاجتماعي نسقه ونظمه، الطبعة الثالثة، الشروق الأردن، 1999، ص، 71.

[2] إبراهيم عثمان، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، 2016، ص، 156

[3] حسن مظفر الروز، الفضاء المعلوماتي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، 2001، ص 294.

[4] عامر بوعزة زمن الفايسبوك، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، منشور على الموقع .net.arabmediastudies.www

يصبح الأشخاص مرتبطين بأبعاد ثقافية ذات دلالات متعددة وبيئات مختلفة، الامر الذي يوضح بشكل جلي دور الاتصال والتواصل في التأثير المباشر على الثقافة، فإن التكافل والتفاعل بين الثقافة والاتصال قد غدا في عصرنا الراهن أكثر وضوحا من أي وقت مضى"[1]، وفي هذا الإطار يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي: بيد أن جميع العلاقات السائدة بين الناس تعد علاقات ثقافية إنها خاضعة لأصول ثقافة معينة، كما أنها مجموعة من القواعد الأخلاقية والجمالية....[2].

في ظل هذا التأثير والتأثر الذي يساهم فيه الذكاء الاصطناعي من خلال الشبكات الاجتماعية التي ينشئها الافراد، وتكون في بعض الأحيان بمثابة صندوق خاص بمعلوماتهم الشخصية وبرامجهم وصورهم وكل ما يتعلق بشخصيتهم، الامر الذي يجعل من قضية الخصوصية والأمان كعقبة أساسية تواجه مجالات عدة في حياة الأشخاص التي يمكن لهذه الشبكات ان تساهم في تطوير خدماتها وفاعليتها، الامر الذي يستدعي تساؤلات حول كيفية إدارة وحماية البيانات الشخصية في عصر الذكاء الاصطناعي.

الخصوصية والأمان في عصر الذكاء الاصطناعي

مع تقدم الذكاء الاصطناعي وانتشاره في وسائل التواصل الاجتماعي، تظهر قضايا الخصوصية والأمان كأحد أبرز التحديات التي تواجه الأفراد والمجتمعات، ولعل ما يميز الذكاء الاصطناعي عن غيره من التطبيقات الذكية قدرته الهائلة على محاكاة العقل البشري والتعلم الذاتي بواسطة خوارزميات محددة تمكنه من تحسين أدائه لاتخاذ القرارات باستقلالية دون أي تدخل بشري"[3]، بينما تسهم هذه الخوارزميات في تخصيص المحتوى وتحسين التجارب الرقمية، فإنها تستدعي أيضًا تساؤلات حول كيفية إدارة وحماية البيانات الشخصية، التي تُعتبر من القضايا المحورية التي تثيرها التقنيات الذكية، حيث تُعتبر الخصوصية من الحقوق الأساسية التي لا غنى عنها للإنسان، وقد حظيت بزيادة ملحوظة في الاهتمام خلال السنوات الأخيرة من قبل مؤسسات مثل الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس حقوق الإنسان. تاريخيًا، كانت حماية هذا الحق قائمة حتى قبل ظهور الإنترنت والتقنيات الحديثة، حيث وُضعت أسسها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948، وبعدها تم تضمين الحق في الخصوصية في العهد الدولي للحقوق

[1] إبراهيم بعزيز، وسائل الاتصال الجديدة وأثرها على ثقافة المستعملين، مرجع سبق ذكره، ص 184.

[2] مالك بن نبي. ميلاد شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين الجزائر: دار الفكر، 1986. ص 22

[3] توجهات السياسات بشأن الذكاء الاصطناعي للأطفال، الإصدار 2 نوفمبر 2021، مقال منشور على الموقع www.unicef.org/globalinsight.com

المدنية والسياسية عام 1966 بموجب المادة 17. ومع تقدم التكنولوجيا، أصبح مفهوم الخصوصية المعلوماتية، أو حماية البيانات الشخصية الرقمية، محورًا جديدًا للحق في الخصوصية، مما زاد من الحاجة لحمايته، حيث تؤكد العديد من الاتفاقيات الدولية والإقليمية على أن لكل فرد الحق في حماية حياته الخاصة بجوانبها المختلفة، وأنه لا يُسمح لأي جهة بالاعتداء على خصوصياته أو معلوماته الشخصية إلا في إطار القوانين المعمول بها.

في عالم يعتمد بشكل كبير على البيانات، تتيح الخوارزميات جمع كميات هائلة من المعلومات الشخصية حول الأفراد، بما في ذلك تفضيلاتهم وسلوكياتهم وتفاعلاتهم على الإنترنت. هذه البيانات تستخدم لتخصيص المحتوى وتحسين تجربة المستخدم، لكنها قد تعرض الأفراد لمخاطر تتعلق بالخصوصية، التي لا تقتصر على خاصية واحدة فقط، بل يمكن تقسمها حسب عبد الله قايد الى عدة خصوصيات كالتالي:

خصوصية المعلومات والتي تتضمن القواعد التي تحكم جميع إدارات البيانات الخاصة كمعلومات بطاقات الهوية والمعلومات المالية.

الخصوصية الجسدية أو المادية والتي تتعلق بالحماية الجسدية للأفراد ضد أية إجراءات ماسة بالنواحي المادية كفحص المخدرات.

خصوصية الاتصالات والتي تغطي سرية وخصوصية المراسلات الهاتفية والبريد الإلكتروني وغيرها من الاتصالات.

الخصوصية الإقليمية والتي تتعلق بالقواعد المنظمة للدخول إلى المنازل وبيئة العمل أو الأماكن العامة والتي تتضمن التفتيش والرقابة الإلكترونية".[1]

لقد أضحى الذكاء الاصطناعي وما يتوفر عليه من إشكاليات خاصة بالأمان الذي يسائل الخصوصية المتعلقة بالأشخاص محط تساؤل عام حول كيفية التعامل مع قضايا الخصوصية والأمان في ظل ما يشهده العالم من حروب سبرانية بفضل التمكن من اختراق كل ما هو خاص، ولمواجهة هذه القضايا، أصبحت هناك حاجة ملحة لتطوير سياسات وإجراءات حماية قوية، تخضع الشركات الى العمل بشفافية أكبر حول طرق وكيفية جمع البيانات واستخدامها، وكذلك تعزيز قدرات الأفراد على التحكم في معلوماتهم الشخصية. ينبغي أيضًا على الأفراد أن يكونوا على

[1] أسامة عبد الله قايد، الحماية الجنائية للحياة الخاصة وبنوك المعلومات "دراسة مقارنة"، الطبعة 3، دار النهضة العربية، القاهرة، 2004، ص35.

دراية بالطرق التي يمكنهم بها حماية خصوصيتهم، مثل استخدام أدوات الأمان عبر الإنترنت وفهم إعدادات الخصوصية في المنصات التي يستخدمونها، الامر الذي يجعل يعطي المشروعية في دراسة قضايا الخصوصية والأمان في بناء العلاقات الاجتماعية والهوية من خلال الذكاء الاصطناعي.

هذا الربط بين تشكيل الهوية والخصوصية يبرز كيف يمكن أن يؤثر استخدام الذكاء الاصطناعي على تصور الأفراد لأمان معلوماتهم الشخصية وكيفية إدراكهم لخصوصيتهم في الفضاء الرقمي، الامر الذي يجعل من تبني استراتيجيات متكاملة تعزز الشفافية وتضمن حماية البيانات الشخصية، وكذا الفهم المتعمق لكيفية تأثير هذه التقنيات على الأفراد والمجتمعات، شرطا أساسيا لمشاركة خصوصياتنا عبر هذه المنصات الإلكترونية، التي تضمن للفرد الحق بالتحكم في تدفق بياناته ومعلوماته سواء كانت خاصة لا أحد يعلم بها، أو تلك المعلومات التي يتم مشاركتها مع مجموعة من الأف الافراد بشكل سري. وهي بحسب القانون الأوروبي للخصوصية وحماية البيانات (GDRP) "كل المعلومات مرتبطة بشخص طبيعي محدد أو قابل لتحديد، والتي يمكن من خلالها التعرف عليه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، مثل: العنوان، الصور، المعتقدات الدينية، وغيرها من البيانات المتعلقة بهوية شخص معين"[1]، حيث بدلت مجهودات عدة سواء على مستوى المنظمات او الدول في سبيل وضع قوانين تساهم في الحماية، على سبيل المثال لا الحصر أقرت منظمة التعاون جملة من القواعد الإرشادية لحماية الحق في الخصوصية وذلك في شتنبر عام 1980، وهي ما عرفت باسم:" (القواعد الإرشادية لحماية الحق في الخصوصية والتدفق الحر للبيانات)، وتهدف لحماية حق الخصوصية وتحقيق التوازن بين خصوصية الأفراد والتدفق الحر للبيانات"[2]، الامر الذي كان له الدور الهام في خروج اتفاقية الاتحاد الأوربي لحيز الوجود التي عرفت ب "الاتفاقية رقم (108) والتي صدرت في أوروبا عام1981، والتي ترمي لنفس أهداف المنظمة، وتعنى هذه الاتفاقية بحماية الأشخاص الطبيعيين في مواجهة مخاطر المعالجة الآلية للبيانات الشخصية، وهي أول اتفاقية تحمل الطابع الإلزامي على عكس القواعد الإرشادية لمنظمة التعاون الاقتصادي"[3]، حيث لم يتوقف الامر عند هذا الامر بل اصدرا توصيات من طرف المجلس

[1] عمر أبو عرقوب، "دراسة استكشافية: واقع الخصوصية وحماية البيانات الرقمية في فلسطين"، حملة المركز العربي لتطوير الإعلام الاجتماعي، غشت 2021، ص 9.

[2] رشيدة بوكر، "تحديات العصر الرقمي في مواجهة خطط حماية الحق في الخصوصية،" مجلة حقوق الإنسان والحريات العامة، المجلد 7 ،4العدد، سنة 2022، ص 78

[3] خدوجة الذهبي، "حق الخصوصية في مواجهة الاعتداءات الإلكترونية -دراسة مقارنة"، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، المجلد 1، العدد، ديسمبر 2017، ص، 150.

الأوربي تشمل عدة توصيات في هذا الشأن منها: "التوصية رقم (R 80/ 13) لسنة 1980 بشأن تبادل المعلومات القانونية، والتوصية رقم (R 81/ 1) لسنة 1981 وتتضمن تنظيم البيانات الطبية المعالجة في بنوك المعلومات؛ إضافة للتوصية رقم (R 83/ 10) بشأن حماية البيانات الشخصية المرتبطة بالبحوث العلمية" [1].

إن استخدام الافراد لمواقع الذكاء الاصطناعي لا يقتصر ولا يتقيد في مسألة الأمان والخصوصية بل نجد هذه المواقع في كثير من الأحيان تمارس الوهم وتتلاعب بالرأي العام لدى الافراد، مما يجعلها كوسيلة ناجعة في تشكيل الرأي العام لدى المجتمع، ومنه نجد المشروعية لتساؤل حول الاليات التي يستخدمها في التأثير بالرأي العام لدى افراد المجتمع.

الذكاء الاصطناعي والتلاعب بالرأي العام

مع الانتشار الواسع للذكاء الاصطناعي في وسائل التواصل الاجتماعي، يظهر دور حاسم لهذه التكنولوجيا في تشكيل الرأي العام والتأثير على المشاركة السياسية، عن طريق الخوارزميات والتقنيات الذكية التي لا تقتصر على تحسين تجربة المستخدم فحسب، بل أصبحت أيضًا أدوات فعالة في توجيه المعلومات وتشكيل المواقف السياسية، حيث يمكن للذكاء الاصطناعي أن يؤثر بشكل عميق على الرأي العام من خلال مجموعة متنوعة من الطرق. من أبرز هذه الطرق هي استخدام خوارزميات التوصية والتصفية التي تتحكم في نوعية المعلومات التي يتلقاها الأفراد. هذه الخوارزميات تقوم بتحليل البيانات الشخصية والأنشطة السابقة لتقديم محتوى يتماشى مع اهتمامات المستخدمين، مما يؤدي إلى تعزيز المواقف والآراء القائمة بدلاً من تقديم وجهات نظر متنوعة.

مثلاً، عندما تعرض الخوارزميات محتوى سياسيًا موجهًا يستند إلى تفضيلات المستخدمين السابقة، فإنها قد تعزز المواقف السياسية القائمة بدلاً من عرض مجموعة متنوعة من الآراء، هذا الامر يمكن أن يؤدي إلى تعزيز الفقاعات المعلوماتية، حيث ينغمس الأفراد في معلومات تؤكد معتقداتهم السابقة فقط، مما يحد من تعريضهم لوجهات نظر أخرى، والتلاعب بأفكارهم الدهنية وتوجهاتهم، حيث يعد التلاعب الذهني بفرد أو جماعة أفراد هو محاولة أخذ التحكم والسلطة للنفس والسلوك، عن طريق تقنيات للإقناع والاقتراح الذهني، حي تقوم "بالتركز على بعض النقاط في الأنفس للتمكن من لفت وشغل انتباه النقد الذاتي للفرد، أي قدراته للحكم على

[1] محمد أمين الشوابكة، جرائم الحاسوب والإنترنت -الجريمة المعلوماتية، الطبعة ،8دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2007، ص، 74

المعلومات أو لرفضها بالنسبة لآخرين يختلف التلاعب عن الهيمنة فيما يخص الحصول على تصرف تلقائي للفرد أو للجماعة ولكن دون أن يكون واعيا بالأصل الخارجي للإيحاء "Suggestion"[1]، مما يجعل من آلية التلاعب بالفكر لدى الافراد بعملية مركبة تتم عبر آليات وموضوعات محددة يمكن حصرها كلاتي:

"الانفعالات (مثال: الخوف، العاطفة، الأمال).

التكرار، الضغط الفيزيائي، نفسيا وذهنيا، فردي أو للجماعة.

استغلال الميل الإدراكي، باستعمال معلومات خاطئة، بالتبسيطات الدلالية والصوفية.

مبادئ "المكافئة" و "العقاب" من قبل السيد"[2].

لقد شهد مجال التكنولوجيا تطورات متسارعة بفضل التورة الصناعية الصامتة كما أطلق عليها انجل هارت، وما أفرزته من تقنيات في مجال الذكاء الاصطناعي، وتحديدا تلك المتعلقة بالمجال السبيراني ومختلف منصات التواصل الاجتماعي التي باتت اليوم "تشكل جبهة للتضليل والدعاية وتوجيه الرأي العام بكل أريحية، خاصة في ظل تطور تقنيات معالجة المعلومات التي باتت تشكل تهديد صريح قد يكون له نتائج سلبية[3]، ومن بينها ما يعرف بـ "التزييف العميق" (deepfake) الذي يدخل ضمن تكنولوجيا معالجة مقاطع الفيديو عبر مؤثرات فنية وصوتية عالية الدقة، وتعد هذه التقنية واحدة من بين العديد من التطورات التي شهدها مجال الذكاء الاصطناعي في توليد المحتوى الإعلامي المركب فهذه المجموعة من الأدوات والأساليب تتيح الفرصة لخلق أحداث واقعية غير حقيقية لأشخاص يقولون أو يفعلون أشياء لم يفعلوها، إضافة إلى خلق صور لأشخاص أو أشياء وهمية، أو حتى لأحداث لم تقع حقيقة "[4]. كما تعرف تكنولوجيا التزييف العميق "بأنها مقاطع فيديو يتم إنشاؤها عبر الكمبيوتر باستخدام الذكاء الاصطناعي، ويتم هذا عبر خوارزميات تعيد تشكيل ملامح الأشخاص وتحريك وجوههم وأطراف الجسد، ويتم

[1] François-Bernard Huyghe, Comprendre le pouvoir stratégique des médias, Eyrolles, 1ère édition, septembre 2005, p 20

[2] Kernberg، O. Severe Personality Disorders : Psychotherapeutic Strategies (Edition. New). Yale University Press(1993).p 15–18

[3] د. دبيح يوسف. استخدام تقنية التزييف العميق وآلية غرف الصدى في التلاعب بالرأي العام الرقمي عبر الشبكات الاجتماعية. مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية، العدد 07 نوفمبر 2023، ص 275

[4] سيلفرمان، كريغ؛ ترجمة زيدان محمد (2020). دليل التحقق من عمليات التضليل والتلاعب الإعلامي. 1. الدوحة معهد الجزيرة للإعلام 180

إعادة دمجها مع مقاطع مسجلة مسبقا لأفراد آخرين حقيقين"[1]، حيث ان هذا التلاعب او التزييف اصبح يشمل كل المجالات، مثلا يتم استخدام الذكاء الاصطناعي للتأثير على النتائج السياسية، من أبرز هذه الأمثلة نورد استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في تحليل البيانات الانتخابية وتخصيص الرسائل السياسية في الرئاسية الأمريكية لعام 2016، حيث تم استخدام الذكاء الاصطناعي لتحليل بيانات الناخبين وتصميم رسائل دعائية مخصصة تستهدف الشرائح الانتخابية المختلفة بشكل دقيق، وتحديد اهتمامات وتوجهات الناخبين من خلال تحليل بيانات وسائل التواصل الاجتماعي. بناءً على هذه التحليلات، تم تخصيص إعلانات سياسية تؤثر على مشاعر ومواقف الناخبين. كما تم استخدام خوارزميات الذكاء الاصطناعي لتحديد الأوقات الأمثل لنشر الرسائل السياسية وتعزيز التأثير على الجمهور.

يتحدد تأثير الذكاء الاصطناعي على الرأي العام بشكل وثيق بالمواضيع المتعلقة بالهوية، الخصوصية، والأمان. بينما تسهم الخوارزميات في تشكيل الهوية الرقمية وبناء علاقات اجتماعية، فإنها أيضًا تلعب دورًا حاسمًا في التأثير على الآراء السياسية والمشاركة العامة. حيث يمكن وصف المعلومات التي تعرضها الخوارزميات كأداة لتعزيز المواقف السياسية الحالية وتؤثر على كيفية تشكل الرأي العام، مما يجعل هذا التأثير يشمل جميع الأبعاد السياسية والاجتماعية، هذه الأخيرة تشكل جزءاً أساسياً من كيفية تفاعل الأفراد والمجتمعات عبر منصات التواصل الاجتماعي، عن طريق تحديد هذه التقنيات لكيفية تفاعل الأفراد مع هذه المعلومات وتعديل سلوكياتهم بناءً على التوصيات التي تقدمها، مما يؤدي إلى تقديم محتوى مصمم خصيصًا لتعزيز التفاعل مع هذا المحتوى. على سبيل المثال، عندما يُعرض على المستخدم محتوى يتوافق مع اهتماماته، فإن ذلك يزيد من احتمال تفاعله مع هذا المحتوى، مما يخلق دائرة من التفاعل المستمر التي تعزز سلوكيات معينة، مثل المساهمة بمزيد من التعليقات أو نشر محتوى مشابه، مما يعزز من مشاركة الأفراد في مواضيع معينة بينما يقلل من تعرضهم لمجالات جديدة.

لقد ساهمت التوصيات التي تقدمها خوارزميات الذكاء الاصطناعي إلى تغييرات ملحوظة في كيفية تواصل الأفراد مع بعضهم البعض، وتعزز من التفاعلات بين الأفراد الذين يشتركون في اهتمامات مماثلة، مما يؤدي بخلق مجتمعات افتراضية أكثر تجانساً خاصة على مستوى المنصات الاجتماعية، نجد مثلاً في منصات مثل تويتر وفيسبوك، حيث تكون الخوارزميات مصممة لزيادة

[1] ويكفيلد، جاين. (2021) التزييف العميق موقع "ماي" هر يتج" يقدم تقنية مثيرة للجدل لتحريك صور الموتى. نشر بتاريخ 28/05/2021. تم الاسترجاع بتاريخ 26/05/2021 على الرابط https://bbc.in/3vtwTZo

التفاعل من خلال تعزيز المحتوى الذي يحفز التفاعل العاطفي، يمكن أن تؤدي هذه التقنيات إلى انتشار محتوى مثير للجدل أو استقطابي، مما يؤثر على طبيعة النقاشات العامة وعن التغيرات الكبيرة في كيفية تفاعل الأفراد والمجتمعات عبر المنصات الرقمية، مما يبرز الحاجة لفهم أعمق لتأثيرات هذه التقنيات لضمان استخدامها بطرق تدعم التنوع والتفاعل الإيجابي داخل المجتمع الواحد.

ان الحديث عن تأثيرات الذكاء الاصطناعي لا يقتصر في طرق التفاعل الاجتماعي بين الافراد ومسألة الخصوصية والأمان بل يتخطى ذلك إلى تشكيل الثقافة الخاصة بالمجتمعات، حيث نجد التكنولوجيا أصبحت تلعب دورًا متزايد الأهمية في تشكيل الاتجاهات الثقافية وتغيير كيفية إنتاج وتوزيع المحتوى الثقافي والمشاركة الاجتماعية، عن طريق تحليل البيانات الضخمة وتقديم توصيات مخصصة بفضل الخوارزميات التي تقوم بتحديد ما يعرض للمستخدمين بناءً على تفاعلاتهم السابقة واهتماماتهم، مما يؤدي إلى تعزيز محتوى معين وتهميش آخر. هذه الديناميات تؤثر على كيفية تكوين الاتجاهات الثقافية، حيث يمكن أن تسهم الخوارزميات في تعزيز ثقافات معينة بينما تحد من ظهور ثقافات أخرى.

على سبيل المثال، في منصات مثل تيك توك وإنستغرام، تُستخدم الخوارزميات لتحديد المحتوى الشائع وترويج ما يجذب أكبر قدر من التفاعل. هذا يمكن أن يؤدي إلى ظهور "موضات" ثقافية بسرعة، حيث يتم تسليط الضوء على محتويات تتناسب مع الأذواق السائدة أو التي تتضمن عناصر مثيرة وجاذبة. وفي الوقت نفسه، قد يتسبب هذا التركيز في تجاهل أشكال ثقافية أخرى، مما يعزز من الاتجاهات السائدة ويحد من التنوع الثقافي.

خاتمة

في ختام هذا المقال، يتضح أن الذكاء الاصطناعي قد أحدث تحولًا عميقًا في مجال التواصل الاجتماعي، مُرسيًا تأثيرات متعددة على جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية. من خلال استكشاف تأثيراته على بناء الهوية والعلاقات الاجتماعية، بالإضافة إلى تأثيراته على الخصوصية والأمان، وسلوك الأفراد، والاتجاهات الثقافية، أصبحنا على دراية بكيفية تشكيل هذه التقنية لتجاربنا الرقمية والاجتماعية، من خلال طرق التأثير التي تستعملها الخوارزميات والتقنيات الذكية التي تؤثر بها على طريقة تفاعل الأفراد مع المحتوى الرقمي، مما يساهم في بناء هويات رقمية وتعزيز أو تقليل العلاقات الاجتماعية بناءً على التوصيات والمحتوى المخصص، مما يجعل الذكاء

الاصطناعي كأداة قوية تملك القدرة على تشكيل تجربتنا الرقمية والاجتماعية بشكل عميق. الامر الدي يجعل التعامل مع هذه التقنية بطرق تدعم التنوع والمشاركة الإيجابية، مع التركيز على قضايا الشفافية والمصداقية، سيشكل الأساس لتحقيق استفادة مستدامة ومتكاملة من إمكانيات الذكاء الاصطناعي.

لائحة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- إبراهيم عثمان، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، 2016.
- أسامة عبد الله قايد، الحماية الجنائية للحياة الخاصة وبنوك المعلومات "دراسة مقارنة"، الطبعة 3، دار النهضة العربية، القاهرة، 2004.
- توجيهات السياسات بشأن الذكاء الاصطناعي للأطفال، الإصدار 2 نوفمبر 2021، مقال منشور على الموقع www.unicef.org/globalinsight.com
- حسن مظفر الروز، الفضاء المعلوماتي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، 2001.
- خدوجة الذهبي، "حق الخصوصية في مواجهة الاعتداءات الإلكترونية -دراسة مقارنة"، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، المجلد 1، العدد، ديسمبر 2017.
- خليل معن، البناء الاجتماعي نسقه ونظمه، الطبعة الثالثة، الشروق الأردن، 1999.
- د. دبيح يوسف. استخدام تقنية التزييف العميق وآلية غرف الصدى في التلاعب بالرأي العام الرقمي عبر الشبكات الاجتماعية. مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية، العدد 07 نوفمبر 2023.
- رشيدة بوكر، "تحديات العصر الرقمي في مواجهة خطط حماية الحق في الخصوصية،" مجلة حقوق الإنسان والحريات العامة، المجلد 7 ،4العدد، سنة 2022.
- سيلفرمان، كريغ؛ ترجمة زيدان محمد، دليل التحقق من عمليات التضليل والتلاعب الإعلامي. 1. الدوحة معهد الجزيرة للإعلام،2020.
- عامر بوعزة زمن الفايسبوك، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، منشور على الرابط https://bbc.in/3vtwTZo
- عمر أبو عرقوب، "دراسة استكشافية: واقع الخصوصية وحماية البيانات الرقمية في

فلسطين"، حملة المركز العربي لتطوير الإعلام الاجتماعي، غشت 2021.

- مالك بن نبي. ميلاد شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين الجزائر: دار الفكر، 1986.
- محمد أمين الشوابكة، جرائم الحاسوب والإنترنت -الجريمة المعلوماتية، الطبعة ،8دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2007.
- ويكفيلد، جاين. (2021) التزييف العميق موقع "ماي" هر يتج" يقدم تقنية مثيرة للجدل لتحريك صور الموتى. نشر بتاريخ 28/05/2021.

المراجع الأجنبية:

- Bergström M., "(Se) correspondre en ligne. L'homogamie à l'épreuve des sites de rencontres", Sociétés contemporaines, n°104, 2016.
- Cardon D., Le design de la visibilité, essai de cartographie du web 2.0, Réseaux, 2008, Vol.6, n° 152.
- Francis Justand & Carine Dartiguepeyrou, La métamorphose numérique vers une société de la connaissance et de la coopération (Paris : Alternatives, 2013.
- François-Bernard Huyghe, Comprendre le pouvoir stratégique des médias, Eyrolles, 1ère édition, septembre 2005.
- Georges F., Représentation de soi et identité numérique. Une approche sémiotique et quantitative de l'emprise culturelle du web 2.0. Réseaux, La Découverte, Paris, 2009.
- Goffman E., Stigmate. Les usages sociaux des handicaps, Éditions de Minuit, Paris, 1975.
- Kernberg، O. Severe Personality Disorders : Psychotherapeutic Strategies (Edition. New). Yale University Press(1993).
- Rémy Rieffel, Révolution numérique, révolution culturelle ? (Paris : Gallimard, 2014.